

الفنون المملوكية

د منى عثمان الغُبّاشي

الفرقة الثالثة شعبة الآثار الإسلامية قسم الآثار

فن الزخرفة بالحفر على الحجر والجص والرُخام

تشهد الزخارف المحفورة في الرُخام والجص والحجر في العماائر المختلفة بإبداع الفنانين في الرسوم النباتية الدقيقة فضلاً عن الرسوم الهندسية المختلفة لذا أمدنا العصر المملوكي بنماذج عديدة من الزخارف المحفورة على الحجر والجص والرُخام تزخر بها العماائر المختلفة سواءً في الواجهات الخارجية أو في الزخارف الداخلية بالإضافة إلى المحاريب، المنابر الرُخامية، اللوحات التأسيسية، لوحات الأسبلة، الشواهد، الأرضيات والنوافذ الجصية الزخرفية. هذا علاوة على الأزيار والكلج الرُخامية، وسيتضح ذلك على النحو التالي :-



(١) قناطر أبو المنجا:

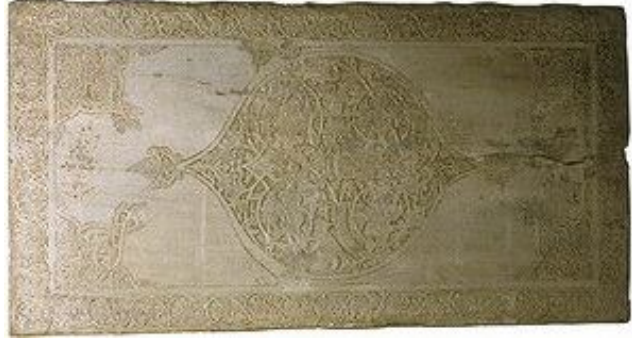
التي شيدها السلطان الظاهر بيبرس البُدُندقداري ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م: على التربة التي أمر بحفرها الخليفة الأمر بأحكام الله الفاطمي لري أراضي شرق الدلتا، وتتميز بوجود إفريز من نقوش بارزة في الحجر تمثل سباعاً أو أسوداً تمثل الببير رنك السلطان الظاهر بيبرس، ويتضح نجاح الفنان في تمثيل الببير كأنه يمشي ببطء.



(٢) لوحة رُخامية نقش عليها بالحفر البارز رنك الظاهر بيبرس القرن ٧هـ / ١٣م ونقش على شكل أسد رابض يبرز مهارة الفنان على الرغم من التحويل إلا أنه برع في التعبير عن عضلات الجسم وملامح الوجه.

(٣) لوح مستطيل من مدرسة الأمير صرغتمش ٧٥٧هـ / ١٣٥٦م:

يتوسط هذا اللوح جامعة وسطى وأرباعها في الأركان وزخرفت الجامعة برسوم نباتية بينها زهرية تتفرع منها غصون تقف عليها الطيور والطواويس ويحد اللوح إطار من زخارف نباتية وهو حالياً بمتحف الفن الإسلامي.



(٤) حلية رخامية مستديرة بمتحف الفن الإسلامي وكانت بمدرسة الأمير صرغتمش أيضاً.

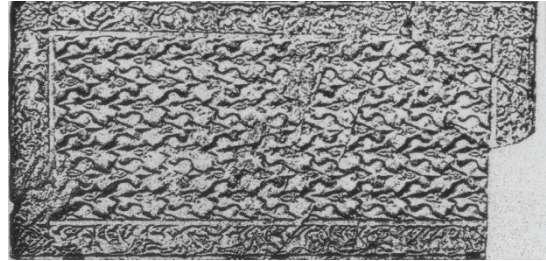


(٥) لوح من الرخام كان

بأحد مدارس القاهرة سنة ٧٥٨هـ / ١٣٥٧م: يتوج هذا اللوح بعقد متدرج يتدلى منه مشكاة بثلاث سلاسل ويحف بها شمعدانان على أرضية من الزخارف النباتية. وتعكس زخارف هذا اللوح مدى براعة الفنان في حفر المشكاة بمكوناتها ونقش الآية القرآنية ببدنها وفي رسم الشمعدانين بزخارفهما.



(٦) لوح سبيل من الرخام (الشاذروان) كان بأحد الأسبلة المملوكية: كانت تسير عليه المياه ببطء، فيكسبها البرودة بالتعرض للهواء فضلاً عن تنقية الماء من الأجسام الغريبة التي قد تكون عالقة به، ويزخرف اللوح برسوم نباتية على شكل زهور



محورة أما إطاره فهو ذو رسوم حيوانية متتابعة على أرضية نباتية.

(١٠) الأزيار:

كانت هذه الأزيار تستخدم للشرب في البيوت والقصور وكذلك في المباني ذات المنافع العامة ومنها:

١- زير من الرُخام يرتكز على كلجة رُخامية القرن ٨هـ/١٤م بمُتحف الفن الإسلامي : وهو ذو شكل بيضاوي بعدة مقابض، ويزخرف برسوم نباتية مورقة ومُحورة "الأرابيسك" وتُزخرف بإطار سُفلي من أسماك القرش تفتح الأفواه وبأعلاه شريط كتابي يتضمن عبارة مكررة هي "عز دائم" ويرتكز الزير على كلجة ذات أربعة أرجل وزخرفت واجهاتها بشريط مضافور .



٢- زيران باسم السلطان قايتباي القرن ٩هـ/١٥م بمُتحف الفن الإسلامي (لوحة ١٥٣): وكل من الزيرين بيدن أُمّلس زخرف أعلاه بشريط كتابي، نص أحدهما "خُصص هذا الزير إلى نافورة مباركة من قبل مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي قد يكون انتصاره من خلال النبي وآله" مما يعني أن هذا الزير كان مُخصصًا لنافورة في أحد المباني المخصصة لآل بيت النبي سيدنا " محمد ﷺ " .



(١١) المنابر: ظهرت المنابر الرُخامية في عصر دولة المماليك البحرية ، وأقدم المعروف منها منبر مسجد الخُضيري سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٧م ولا تزال بعض بقاياها محفوظة بمُتحف الفن الإسلامي. أما أقدم المنابر الرُخامية القائمة في المساجد بالقاهرة فهو منبر جامع آق سنقر المعروف بالجامع الأزرق سنة ٧٤٧هـ ، منبر منجك اليوسفي سنة ٧٥٠هـ ومنبر مدرسة السلطان حسن سنة ٧٥٧هـ .



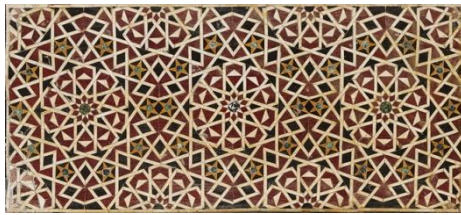
ومن أبدع المنابر الحجرية المنبر الذي أمر بتشيدده السلطان قايتباي في تربة السلطان برقوق ٨٨٨هـ/١٤٨٣م (لوحة ١٥٧). وعلى هذه المنابر زخارف دقيقة من أطباق نجمية وفروع نباتية التي تذكرنا بزخارف الخشب.



(١٢) المحاريب :

تتميز العماثر الدينية من جوامع ، مدارس، خانقاوات وترتّب بالمحاريب الجميلة التي تتكون من حنية نصف دائرية مكسوة بالوزارات الرخامية المستطيلة المرصوفة في صفوف أفقية يتخلل بعضها بائكات صغيرة من عقود ترتكز على أعمدة صغيرة وأحياناً تتميز العقود بأنها عقود مُشعة كما تتميز طواقي بعض المحاريب بكونها ذات عقود مُشعة أو بزخارف هندسية ذات الطبق النجمي .

هذه بالإضافة إلى تبليط الأرضيات وخاصة الأفنية بوزارت رُخامية في تكوينات هندسية جميلة وكذلك كسوة الجدران بالوزارات الرُخامية .



(١٣) الفسيفساء الرُخامية:

وصلنا نماذج عديدة من الفسيفساء الرُخامية التي تكون زخارف جميلة منها أشكال الطبق النجمي وبعضها ينحصر في بائكة ذات عقود ترتكز على أعمدة.

(١٤) التراكيب الرُخامية :-

هي بناء مستطيل يوضع فوق المدافن والمقابر ويدون عليها أو على الشواهد الرُخامية أو الحجرية التي تعلوها أو تجاورها أسماء من دفنوا بهذه المقابر . وتأخذ التركيبة شكل مستطيل أو مستطيلين يعلو كل منهما الآخر والعلوي أقل من السفلي في المساحة ويتوسط، ويوجد بأركان المستطيل العلوي أربعة أشكال رُمانية مدببة القمة تسمى البابات وهي إما ملساء أو ذات قنوات

وتوجد هذه التراكيب إما في وسط الضريح أو أمام المحراب مباشرة وذلك كما في مدفن مدرسة جوهر القنقباي ومدفن خانقاه برسباي ومدفن قايتباي.

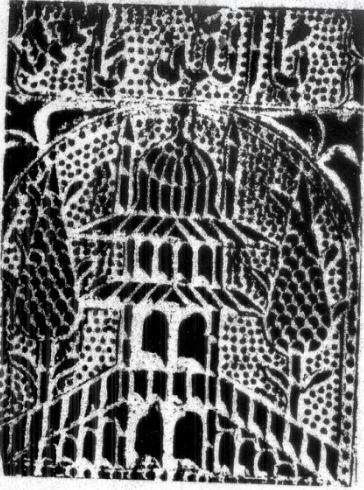
٥٥ (تحتوى العمائر المملوكية على نماذج طيبة من النحت في الحجر والجص وذلك في زخارف الواجهات والمآذن والنوافذ الحجرية ذات الأشكال المُفرغة كما في الخانقاه الجاولية، وفي التكسيات الجصية كما في مجمع قلاوون والسلطان حسن).

هذا إضافة إلى النوافذ الجصية المُفرغة المُعشقة بالزجاج باللون، والتي تتميز بتنوع زخارفها من هندسية ونباتية وبعضها معماري وهذه النوافذ التي عرفت بالشمسيات والقمریات وعرفت هذه النوافذ في العصر الأيوبي ثم استمرت في العصر المملوكي ومن أقدم أمثلة هذه النوافذ هي: شمسيات مدرسة الماردانية بدمشق سنة ٦١٠هـ أما في مصر فظهرت في ضريح الخلفاء العباسيين سنة ٦٤٠هـ ثم قبة الصالح نجم أيوب سنة ٦٤٨هـ.

وفي العصر المملوكي أصبحت هذه النوافذ تتألف في عدة صفوف في شكل هرمي وتحاط بعقد كبير وعرفت في الوثائق المملوكية باسم شند وجمعها شنود أو أشناد .

ومن الممكن الاعتماد على شكل هذه النوافذ في تأريخ المباني فإذا كان شكلها بسيط من نافذة واحدة أو صف من نافذة أو اثنتين يكون من عصر المماليك البحرية لكن إذا تعددت صفوف هذه النوافذ فتكون من عصر المماليك الجراكسة.

ولقد حاكى الأوروبيون هذه النوافذ الجصية المُعشقة بالزجاج الملون إلا إنهم استخدموا الرصاص بدلاً من الجص كما في الكنائس.



ومن أمثلة هذه النوافذ نافذة صغيرة بمتحف الفن الإسلامي من العصر المملوكي قوام زخرفتها مبنى يبدو كقصر مقبي يتكون من عدة طوابق وعلى جانبيه تبدو أسوار من طابقين وعلى جانبي المبنى شجرتا سرو ويتوج الجميع بعقد نصف دائري يعلوه إطار مستطيل بكتابة "يا الله يا محمد" وذلك على أرضية مُفرغة.

عزيزي الطالب يجب عليك الآتي:

- ١- شرح النماذج بالتفصيل مع مقارنتها بغيرها في باقي العالم الإسلامي
- ٢- إلقاء الضوء على الطرز الفنية والمعمارية من خلال التحف
- ٣- إلقاء الضوء على الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية من خلال هذه التحف
- ٤- البحث في كتابك ومواقع الانترنت عن مزيد من التحف